مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العدد: 02 (2024)، ص: 236-252

دور السنّة النبوية في فهم القرآن الكريم بالمنظور الحداثي -دراسة تحليلية نقدية-

The Role Of the Prophet's Sunnah In Understanding The Quran From The Modern Perspective: An Analytical And Critical Study.

يوسف علاوي[1]، صالح عومار[2]

[1] مخبر البحث في الدراسات القرآنية والسنّة النّبويّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)، y.allaoui@univ-emir.dz

[2] مخبر البحث في الدراسات القرآنية والسنّة النّبويّة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)، s.oumaar@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 2024/03/06 تاريخ القبول: 2024/05/11 تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص:

في هذا العصر ازداد الاهتمام بدراسات القرآن الكريم، وظهرت القراءة الحداثية التي تُولي أهمية كبيرة للسنّة النّبوية ومكانتها في تفسير القرآن، يسعى هذا البحث لفهم الكيفية التي تناول بها الحداثيون السنّة النّبوية في تفسير وفهم القرآن الكريم، وذلك من خلال تحليل أقوالهم، آرائهم، ومنهجياتهم التي انتهجوها في ذلك، كما يهدف البحث إلى نقدها نقداً يبيّن مدى علمية ومنطقية هذه القراءة، ويبيّن مدى اتساقها مع قيمة السنّة النبوية وحيّيتها وحجيتها. تُساهم نتائج البحث في فهم أفضل لكيفية استخدام الحداثيّين للسنّة النّبوية في تفسيرهم للقرآن الكريم وفهمه، وتقييم منهجياتهم، ومدى علمية القراءة الحداثية للقرآن الكريم. هذا البحث يُعدّ إضافة نوعية في دراسات القرآن الكريم المعاصرة، حيث يُسلّط الضوء على أحد أهمّ الاتجاهات الفكرية في تفسير القرآن الكريم، ويُساعد على فهمه بشكل أفضل.

كلمات مفتاحية: السنّة النبوية، القرآن الكريم، الحداثة، التفسير، الدراسات المعاصرة.

Abstract:
In contemporary developments, the growing interest in Quranic studies has given rise to the modernist reading of the Quran, emphasizing the importance of the Sunnah in interpretation. This research aims to understand modernists' approach to the Sunnah in interpreting the Quran through analyzing their statements, opinions, and methodologies. The critique of these approaches will assess their scientificity, logic, and consistency with the value, relevance, and authority of the Sunnah. The expected outcomes include a better understanding of how modernists use the Sunnah in Quranic interpretation, evaluating their methodologies, and assessing the scientificity of the modernist reading. This research is a valuable addition to contemporary Quranic studies, shedding light on a crucial intellectual trend in Quranic text interpretation.
Keywords: Sunnah, Quran, modernity, interpretation, contemporary studies

---

***المؤلف المرسل:** يوسف علاوي

1. مقدمة

يحظى القرآن الكريم بمكانة عظيمة في الدين، إذ هو الوحي المبين، أُنزل بواسطة جبريل الأمين على أشرف الأنبياء والمرسلين، هداية للنّاس أجمعين بكلام عربي مبين، وقد ظلّ فهم القرآن الكريم وتفسيره منذ عصر النبوة مَبْنيّا على قواعد وأصولٍ؛ اتخذها علماء التفسير بعد ذلك منهجاً في تفسيرهم، ومن هذه الأصول التي حافظ عليها العلماء; إعمال السنّة النّبويّة في فهم القرآن الكريم، حيث حرص السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم على تلقّي الحديث النبوي؛ حفظاً وضبطاً تامّا، وأداءً

لمن بعدهم على أكمل وجهٍ، وهكذا لبث أهل العلم يعملون بالسنّة النّبويّة في فهم وتفسير القرآن الكريم وبيانه للنّاس كما جاء به النّبي صلى الله عليه وسلم، فكان حفظهم للسنّة كحفظهم للقرآن الكريم، وفي الأزمنة الأخيرة كَثُرت وتنوّعت أبحاثٌ درست القرآن الكريم، وتمثل بدورها ما يسمى بالقراءات المعاصرة للقرآن الكريم، حيث اختلفت مناهجها المستحدثة التي اعتمدتها في قراءاتها، كما تعددت آراؤها في ما يخص إعمال الحديث النبوي في فهم القرآن عظيم.

ومن هذه الاتجاهات المعاصرة التي ذاع صيتها على نطاق واسع خاصة مع التطور الذي شهدته وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي: الاتجاه الحداثيّ، حيث اهتم الحداثيّون بالقرآن والسنّة كونهما بالنسبة إليهم شيئا من التراث، وقد تعرّضوا لهما من جميع النّواحي، فخرجوا على النّاس بجُملةٍ من الآراء الجديدة حول القرآن الكريم وطريقة نقله وتوثيقه، وسُبل استنباط معانيه وأحكامه، ومناهج تفسيره؛ إذ فسّروه تفسيراً جديداً مسايراً للعصر كما يزعمون، وقد صنفوا في ذلك مصنّفات وألّفوا فيه مؤلفات، وقعّدوا في ذلك قواعد جعلوها عمدة لهم في ذلك.

ومن أهم ما يدرُسُه روّاد هذا الاتّجاه: هو ادّعاؤهم الاكتفاءَ بالقرآن وحده في فهم واستنباطِ الأحكام الشّرعية، وإهمال دور السنّة النّبويّة في تفسير الآيات القرآنية، فيتناولون مدى حجيتها وحييتها ومدى نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم، إذ تجدهم يتصيّدون كلّ شبهةٍ لإسقاط مكانتها؛ وبالتالي عدم إعمالها في قراءة القرآن، ولا عجب في ذلك قدحاً منهم في وسيلة تبليغ رسالة الإسلام. ومن هنا كانت فكرة البحث؛ وهي دراسة بعض ما استدّل به روّاد القراءة الحداثية في انتقاصهم من قيمة السنّة النّبويّة ودورها في قراءة القرآن الكريم، ومن ثمّ لتكون الدراسة نموذجاً يكشف عن تنوع واختلاف مناهج القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، ولهذا جاء البحث موسوما بـ: " دور السنّة النبوية في فهم القرآن الكريم بمنظور حداثي -دراسة تحليلية نقدية-".

أ- الإشكالية المطروحة في هذا الصدد تتمثل في ما يلي:

ما مدى إعمال الحداثيّين للسنَّة النّبويّة في قراءتهم للقرآن الكريم؟ وهل بنوا ذلك وفق أصول علمية أم مجرد اتّباعٍ للهوى؟ وما أثر ذلك على القراءة المعاصرة للقرآن الكريم؟

ب - الفرضيات:

- الحداثيون يدعون الاكتفاء بالقرآن وعدم إعمال السنَّة في فهمه.

- الحداثيون يفهمون القرآن وفق ما يتماشى مه أهوائهم وآرائهم

- موقف الحداثيين السلبي تجاه السنَّة النبوية هو سبب عدم بناء دعواهم وفق أسس علمية

-ضرورة ضبط القراءات المعاصرة للقرآن الكريم وفق القواعد والأصول العلمية التي تبناها علماء التفسير.

ج- أهداف البحث:

1. تأكيد أهمية السنّة النّبويّة ودورها في فهم القرآن الكريم.
2. بيان تنوع واختلاف مناهج القراءات المعاصرة للقرآن الكريم.
3. نقد وجهة نظر الاتجاه الحداثي في تفسير القرآن الكريم وبيان مدى علمية طريقتهم.
4. دحض الأدلة التي يستخدمها رواد القراءة الحداثية للانتقاص من قيمة السنّة النّبويّة.
5. معرفة مدى إعمال الحداثيّين السنّة النّبويّة في قراءتهم للقرآن الكريم ومدى إهمالهم لها .
6. نشر الوعي بأهمية إعمال السنّة النّبويّة في قراءة القرآن الكريم.
7. هذا الموضوع يكسب الباحث القدرة على الرد على الشبهات حول القرآن الكريم والسنّة النّبويّة.

د- منهج البحث:

المنهجُ المعتمد هو التحليلي النقدي وذلك من خلال عرض آراء الحداثيّين حول الحديث النبوي، والكشف عن موقفهم من السنّة النّبويّة عموما، وبيان مكانتها عندهم في قراءة القرآن الكريم، وعرض مواضع لذلك ودراستها للكشف عن مدى إعمال السنّة النّبويّة في فهم القرآن عند الحداثيّين، ومن ثمّ نقد ذلك نقدا علميا بحيث يتّضح مدى موافقة هذه القراءة لقواعد وأصول التفسير؛ لتكون هذه الدراسة نموذجا من النماذج المعاصرة التي تناولت السنّة النّبويّة خاصّةً من حيث إعمالها في فهم القرآن الكريم.

هـ- خطة البحث:

قُسِّمَ البحث على خطة تتكون من مقدمة وثلاث مباحث، ثمّ خاتمة تليها قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة: وتحتوي على تمهيد للموضوع، وإشكالية الموضوع، والفرضيات، وأهداف الموضوع، ومنهج البحث فيه.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات ومفردات البحث.

المبحث الثاني: السنّة النّبويّة عند الحداثيّين بين نفي الوحييّة والحجيّة.

المبحث الثالث: فصل السنّة النّبويّة عن القرآن الكريم وإقصائها

خاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

2. التعريف بمصطلحات ومفردات البحث

1.2 مفهوم الحداثة والحداثيّين

الحداثة لغة:

مصدرها من الفعل حدَث يحدُثُ حدوثاً وحداثةً واستحدثتُ خبراً: أي وجدتُ خبراً جديداً، ومحدثاتُ الأمور ما ابتدعه أهل الأهواء من الأشياء التي كان السلف الصالح على غيرها. (ابن منظور، 1414هـ، ج2، ص 131)

الحداثة اصطلاحا:

محاولةُ صياغةِ نموذجٍ للفكرِ والحياة يتجاوز الموروثَ ويتحرّر من قيودِه لتحقّق تقدّم الإنسان ورقيّه بعقله ومناهجه العصرية الغربية، لتطويع الكون لإرادته واستخراج مقدراته لخدمته.(الحارث فخري عيسى، 2013م، ص32، 33).

يمكن القول أن الحداثيّين هم دعاة التجديد والتحرر من قيود كل ما هو موروث من أجل تحقيق تقدم الإنسان بزعمهم انطلاقا من مناهج غربية معاصرة.

2.2 السنّة النّبويّة

السنّة في اللغة:

في الأصل مأخوذة من السَّنن، وهو الطَّريق، وقد أُطلقت على عدَّة معانٍ، ومنها الطَّريقة والسِّيرة حميدة كانت أو ذميمة، وَالْجَمْعُ سُنَنٌ مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ (الفيومي، 1994م، ج1، ص292)

السنّة اصطلاحا:

"هي ما أُثِرَ عن النّبي صلى الله عليه وسلم من قولٍ، أو فِعلٍ، أو تقريرٍ، أو صِفةٍ خَلْقِيَّةٍ، أو سِيرةٍ سواء كان قبل البعثة أو بعدها". (مصطفى السباعي، 1402هـ-1982م، ص47)

السنّة في اصطلاح الحداثيّين:

عرفوها بعدة تعريفات، وقد عقب محمد شحرور على تعريف المحدثين للسنَّة ووصفه بأنّه تعريف خاطئ تم من خلاله تحنيط الإسلام، وقدم تعريفا للسنّ النّبويّة يرى بأنه الأمثل بقوله: "منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب بسهولة ويسر، دون الخروج عن حدود الله في أمور الحدود، أو وضع حدودٍ عرفية مرحلية في بقية الأمور، مع الأخذ بعين الاعتبار عالم الحقيقة، الزمان والمكان، والشروط الموضوعية التي تطبق بها هذه الأحكام، معتمدين على قوله تعالى: ﴿**يريدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْر** ﴾[البقرة 185]، وقوله: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[الحجّ 78]". (محمد شحرور، 1990، ص548- 549)

3.2 الدراسات المعاصرة للقرآن الكريم

كونها معاصرة تفيد أن هذه القراءات عصرية حداثية يجمعها التحرر من المناهج القديمة للاستدلال بالنصوص الشرعية، فيخرج عصر الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف، وذلك أن أصحاب هذه القراءات يريدون تطبيق مختلف أنواع المنهجيات التحليلية الغربية الحديثة؛ لكي يتحرر لهم المجال لولادة فكر تأويلي جديد للظاهرة الدينية. (محمد أركون، 2001م، ص70)

يمكن القول بأنّ الدراسات المعاصرة للقرآن الكريم هي القراءات الجديدة في العصر الراهن، وهي استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم، وسُمِّيت بالمعاصرة تمهيدا لأن يكون في كل عصر قراءة جديدة للقرآن الكريم. (محمد كالو، 57-56)

3. السنّة النّبويّة عند الحداثيّين بين نفي الوحييّة والحجيّة.

وقف الحداثيّون تجاه السنّة النّبويّة موقف المعادي الشديد العداء ،وهم في هذا متفاوتون في إلقاء الشبه فمنهم من يردها جملة كالذين سمّو أنفسهم قرآنيين، ومنهم من يرد بعضها إذا خالفت أفكارهم مرددين حججا واهية، مع تقليدهم للمستشرقين في آرائهم (جمال الدين لخضور، 1997م، ص119)، يتناول هذا المبحث بعض ما يتبناه أصحاب القراءة الحداثية تجاه السنّة النّبويّة حيث يوضّح موقفهم من إعمالها في قراءة القرآن الكريم.

1.3 نفي صفة الوحييّة عن السنّة النّبويّة.

من أهم المسائل التي خاض فيها رؤوس الفكر الحداثيّ، القول بنفي وحييّة السنّة النّبويّة وعدم اعتبارها مصدرا تشريعيا وهذا ما يؤكده نصر حامد أبو زيد، فالسنّة النّبويّة عنده لا تَعدُ أن تكون تفسيراً وبياناً لمجمل القرآن. (نصر حامد أبو زيد، 1996م، ص19)

يلغي الحداثيّون وحييّة السنّة النّبويّة بناءً على ما يسمّى بقاعدة أُنْسَنَةِ النّصوص؛ وذلك بالتّحرر كليّا من المرجعيّة الدينيّة، فتنقل النصوص النّبويّة من الوضع الإلهي إلى الوضع الإنساني، فهي غير قابلة للفهم والتّحليل مالم تنفكّ عن طابع الأزلية والقدسية والغيبيّة (محمد الخطيب، 2009، ص227)، فتعطى بعداً بشريّا بحتا، وتنتقلُ من نصّ متعالٍ في كل زمانٍ مكانٍ إلى نصّ يتحكّم فيه الإنسان ويحدّد معناه، مما يُغَيِّب المعنى الحقيقي للنّصوص النّبويّة، ويعتبر بعض الحداثيّين أنّ السنّة النّبويّة إما نصوصٌ مصدرها الفكرُ البشري، أو أنّ بعضها وحيٌ، لكنها تتأنسن وتخضع لمفاهيم البشر بمجرد انفصالها عن مصدرها (الحارث فخري عيسى، 2013، ص119)، ويكون النصّ الدينيّ قابل للقراءة وفق مفاهيم متعدّدة فيصبح بإمكان القارئ له أن يتعامل معه ويحلّله وفق ما فهمه منه، بعيدا عن قدسيّته ووحييّته، وكون السنّة النّبويّة مصدراً إلهيّا لا يعني عندهم أنه يجب دراستها وفق منهجية خاصّة، وإنّما يعتبرونها نصوصا لغويةً ينطبق عليها ما ينطبق على النصوص الثقافية الأخرى. (نصر حامد أبو زيد، 1995، ص226)

ما يقرّره بعض الحداثيّين حول نفي وحييّة السنّة النّبويّة وأنّها لا تقتضي التأسّي والتّشريع، وإنّما هي متغيرة وصالحة لما سيقت فيها من أحوال، فلا تتصف بالثبات مثل القرآن، فالجابريّ يؤكّد عدم الاستفادة من السنّة النّبويّة حكما مُؤسّسا، ويضيف أنّ وظيفة الحّديث هو البيان لما في القرآن فقط، ولا يقتضي ذلك أيّ تشريع جديد أو إضافي (محمد عابد الجابري، 2007)، وكلام الجابري لا يُفهم منه أن يكون ذلك وفق القواعد والأصول التي اعتمدها السّلف في فهم القرآن، وإنّما هو يعتبر السنّة النّبويّة كأيّ نصّ آخر يدرُسُ القرآن الكريم، فإعمالها في فهم القرآن الكريم لا يميّزها عن الآراء والاجتهادات الأخرى.

محمد شحرور ينفي وحييّة السنّة النّبويّة ويعتبرها قرارات ناتجة من الواقع المعيشي في العصر النّبوي ويعّدها اجتهاداً من النّبي صلى الله عليه وسلم في تقييد

الحلال و الحرام، وذلك يحتمل الخطأ والصواب وهو مُخالفٌ لحقيقة الوحي، فمحمد شحرور يعتبر السنّة مجرّد محاكاةٍ لما يحصل في المجتمع النبوي، وأنّها اجتهادٌ جاء من النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحتاجُ اجتهاده لوحي، فالسنّة عنده ليست وحياً ولا تحتاج للوحي وهي قابلة للخطأ والصواب، وفي آخر المطاف يعتبرها قانوناً تسير عليه الدولة في العهد النبوي. (محمد شحرور، 2008، ص151)

أما نصر حامد أبو زيد فقد اعتبر السنّة النّبويّة من العادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع القرشيّ، وأنّ الإمام الشافعي هو من صيّرها وحياً . (نصر حامد أبو زيد، 1996، ص44)

يستفاد من هذه النماذج أنّ الحداثيين يعتبرون الحديث النبوي مثل أي نص آخر صادر من أي بشر كان، وطريقتهم في إعمال السنّة النّبويّة مخالفةٌ لمنهج السلف.

2.3 نفي حجيّة السنّة وادّعاء استحداثها.

عرض هذه الدعوى:

يُدَندِنُ الحداثيّون حولَ السنّة النّبويّة ونفي وحييتها والتقليل من شأنّها وأنّها لا تخرج من كونها نصّا من النصوص البشرية، إنّما هو دافع لهم للطّعن في حجيّة السنّة في التشريع الإسلامي، ولذلك كثيرا ما تجدهم يناقشون القضايا المتعلقة بحجيّة السنّة ويحاولون إزاحة القناعات الدائرة حولها، فيوردون شبهة عدم حجيّتها في العصر النبوي وأنّ الإمام الشافعي هو من أحدث ذلك.

يشير محمد حمزة إلى أنّ اعتبار الحديث النبوي نصًا تأسيسيًا يلي القرآن في المنزلة والحجيّة لم تكن موضوع توافقٍ في الفترة الزمنية الأولى، مؤكّدا أن تاريخ الإسلام يحتوي على كثير من المواقف النقدية التي أهملت مكانةَ الحديث النبوي في التشريع، ودعت إلى فهم القرآن دون الاعتماد على الأحاديث التي يصعب التحقق من صدقها، ويشير إلى أن تأسيس مكانة السنّة لم يبدأ إلا مع الشافعي، الذي قام بترتيب الأصول الفقهية، متضمنّة لسنّة النّبويّة رديفةً للقرآن الكريم (محمد حمزة، 2007، ص98)،

فهم يرونَ أنّ الحجيّة المثبتةَ للسنَّة النّبويّة لم تكن في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الصحابة، وذلك لأنهم لم يعتبروا السنّة النّبويّة في وقت من الأوقات وحيا إلهيا. (محمد شحرور، 1990م،ص546)

القول بنفي وحييّة السنّة في فكر الحداثة يقتضي نفي الحجيّة عما ورد فيها من أحكام، فيردُّون الأحاديث النّبويّة والأحكام الشرعية بذلك، ويعتبر الجابريّ أنّ المشكلة الأبستمولوجية التي يطرحها الخبر في الميدان البياني ليست قضية صدق أو كذب بالمعنى المنطقي كما في الميدان البرهاني، بل إنّ المسألة تتعلق بالتّشكيك في صحة السنّة النّبويّة نفسها وصحة موضوعيتها، حيث يظهر أنه يعتبرها موضوعة وغير صحيحة من الأساس. (محمد عابد الجابري، 2009م، ص116)

يرى الشُّرفي بضرورة إعادة النّظر في مفاهيم الصدق والكذب فيما يتعلق بالحّديث النبويّ، ويدعو إلى إلغاء المكانة المرموقة التي وضعها الشافعي للسنّة النّبويّة بصفته جهة العلم أو السبيل إلى المعرفة اليقينية الثابتة، ويؤكد على ضرورة أن يكون تحليل الخبر مرتبطًا بالمحتوى والمضمون لا بالسنده والشكل فقط، والشرفي يزعم أنّه يتفهم العواقب الوخيمة في تغيير منهج الشافعي في السنّة النّبويّة، ولكنه يرى بضرورة مواجهة هذا الإشكال وعدم تجاهله. (عبد المجيد الشرفي، 1994م، ص 141)

مناقشة هذه الدعوى:

ما ذهب إليه بعض دعاة الحداثة من أنّ السنّة في أساسها لم تكن حجّة عند المسلمين؛ وإنّما أسّس حجيتها الإمام الشافعي؛ هو رأيٌ في الحقيقة لا يستقيم، لأنّ الروايات العديدة وتواتر الأخبار يشير إلى أنّ حجيّة السنّة لم يكن موضوعاء مفتوحا للجدال أصلاً، بل كانت حجّيّتها مما تَوافَقَ عليه الجيل الأول ومن جاء بعدهم، ثمّ إنّه يوجد في إفراد الشافعي لهذا الموضوع جزءاء قليلا من كتابيه الرسالة والأم دلالة واضحة على أن الأمر من البديهيات عند من سبقه، وكذا لم يتوسع بإيراد الأدلة

العقلية والنقلية في المسألة، وذلك نظراً لكون حجيّة السنّة النّبويّة لدى الأجيال الأولى أمرمسلّمٌ به لا يحتاج إلى كثير نقاش. (الحاث فخري عيسى، 2013م، ص133-136)

إنكار حجيّة السنّة النّبويّة يعني إنكار مفهوم النّبوةِ القائم على حصول الوحي، ومن غريب ما يحاول الفكر الحّداثي الاستناد عليه في إثبات الممارسة التاريخّية؛ أنّ البحّث في حجيّة السنّة لم يقع إلا في وقت متأخر عن العهد النبويّ، وقد استند الفكر الحداثي في ذلك إلى المعتزلة والروافض والخّوارج (محمد بن حجر القرني، 1434هـ، ص389)

3.3 الدعوة إلى التحررمن منهج السلف.

السَّلَفُ كانوا يمتثلون قَول الله تعالى :﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾[الأحزاب: 36]، فيَشتَدُّ نكيرهم وَغَضَبُهُم على مَن يعارض حَدِيثَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِرَأْيٍ أو قِيَاسٍ أو استِحسَانٍ أو قَولِ أَحَدٍ من الناس كَائِنًا مَن كان، وَيَهجُرُونَ فَاعِلَ ذلك، وَيُنكِرُونَ على مَن يَضرِبُ له الأَمثَالَ، وَلا يُسَوِّغُونَ غير الانقِيَادِ له وَالتَّسلِيمِ وَالتَّلَقِّي بِالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ، وَلا يَخطُرُ بِقُلُوبِهِم التَّوَقُّفُ في قَبُولِهِ حتى يَشهَدَ له عَمَلٌ أو قِيَاسٌ أو يُوَافِقَ قَوْلَ فُلانٍ وَفُلانٍ. (ابن قيم الجوزية، 1411هـ/1991م، ج4، ص188)

دعوة الحداثيّين لقطع الصلة بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان للقرآن الكريم، إنّما تفتح المجال لهم في العبث بدلالات الكتاب والسنّة حسب أهوائهم ورغباتهم فيدعون إلى التحرر في قراءاتهم للقرآن الكريم وعدم تقييده بقواعد وأصول التفسير، ومنه يستنقصون من قيمة السنّة النّبويّة، ويعطون الحريّة المطلقة في التفسير لكلٍّ كما يشاء على مستوى فهمه، فيؤمن و يتصور العقائد كما يريد (اسبنوزا، 2005م، ص37)، ولذلك يدندنون بأنّ القطيعة التي يدعون إليها ليست القطيعة مع التراث بل مع نوع من العلاقة مع التراث، القطيعة التي تحولهم من كائنات تراثية إلى كائنات تتمتع بتراث...ويسمونها القطيعة مع الفهم التراثي للتراث

(محمد الجابري،1993، ص21)، وهذا يؤدي لزوما لقطع علاقة السنّة بالقرآن، فتخالف أصول الإسلام عند السلف بأنّ السنّة النبوية تثبتُ مصدرا ثانٍ من مصادر التشريع.

4. فصل السنّة النّبويّة عن القرآن الكريم و إقصائها.

يحاول الحداثيّون إبعاد السنّة النّبويّة عن القرآن لدوافع مختلفة، ويمرّرون مذهبهم في تحويل الدّين إلى رأي حسب ما يراه كل ناقد من هذه الأمور.

1.4 مزاعم الاكتفاء بالقرآن ولا حاجة للسنة.

دعواهم في ذلك:

يزعُمون أنّ القرآن هو من بيّن الشريعة ولا يحتاج لشيء آخر يشرحُهُ ويبيّنُه، فالقرآن الكريم كافٍ في بيانِ قضايا الدين وأحكام الشريعة، ما ترك شيئاً ولا فرَّط في شيءٍ، قال الله تعالى: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ [سورة الأنعام، الآية: 38] ، وقوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [سورة النحل الآية: 89.]؛ فتدلُّ الآيات على أنّ القرآن اشتمل على كل شيء من أمور الدين وأحكامه (مصطفى السباعي، 1402هـ-1982م، ص153)، ويدَّعون أنه لا يوجد في السنّة النّبويّة ما ليس أصله في القرآن وأنّه لا بد من الاعتماد على القرآن وحده. (حسن حنفي، دت، ج3، ص38)

يجاب عن ذلك:

المقصود في قوله تعالى: ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ** ﴾ [سورة الأنعام، الآية: 38] هو اللّوح المحفوظ وليس القرآن، قال السّعدي في تفسيره:" أي ما أهملْنا ولا أغفلْنا، في اللوح المحفوظ شيئاً من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ، على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبقَ ما جرى به القلم". (عبد الرحمان السعدي، 1420هـ/2000م، ص255)

على التسليم بأنّ المراد بالكتاب هو القرآن، فالمعنى أنّه لم يفرّط في شيء من أمور الدين وأحكامه، وليس دليلاً على عدم الحاجة إلى السنّة وليس دليلا على الاكتفاء بالقرآن، فلا يوجد تنافي بين القرآن مفصّلاً لكل شيء وإرسال الرسول ﷺ، فوجود السنّة إلى جنب القرآن الكريم أبلغ دلالة على تبليغ الرسول ﷺ لأمته، فالأمّة مجمعة على أن القرآن العظيم قد اشتمل على الأحكام مجملا ومفصّلا، وكُلّف الرسول ﷺ بالتطبيق العمليّ لها فجاءت السنّة النّبويّة فبينت المجمل وفصلته (عبد العظيم المطعني، 1420هـ/1999م، ص23)، كوجوب الصلاة فقال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أُصلي» (البخاري، 131هـ، ج1، ص128)، ولم يقل: كما تجدون في القرآن، لأن القرآن قد خلا من تفصيل الأحكام، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [سورة النحل الآية: 44]، فلا يستقيم الأخذ بالكتاب وحده، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [سورة محمد الآية: 33.]، ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [سورة الحشر الآية: 7].

2.4 دعوى معرضة السنّة للقرآن معارضة نفسها.

معيار المخالفة والاتّفاق بين القرآن والسنّة عند الحداثيّين يكون إمّا بالمقارنة بنصوص الآيات أو بالمقارنة بمفهوم الآيات في إجمالها، أو القيم والمبادئ والمثل التي هي روح الإسلام (جمال البنّا،1997م، ص248)، ويرتبون على ذلك النتيجة التي قدّموا لها بأنّه لا داعي للأخذ بالسنّة النّبويّة.

نموذج عن دعوى تعارض السنّة مع القرآن:

زعم أحمد صبحي منصور استشكالاحول قول النّبي صلى الله عليه وسلم: «**أَرَأَيتَكُمْ لَيلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنهَا، لاَ يبقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ**» وأنّه يعارض غيبية الساعة في قول الله عز وجل: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّما عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ** ﴾ [الأعراف 187](أحمد منصور،2018، ص108-110)، وهذا لا إشكال فيه في الحقيقة؛ فقد بيّن القاضي

عياض حقيقة هذا الاستشكال وأن المراد بالسّاعة في جميع الروايات إنّما يحمل على الموت. (النووي، 1392هـ، ج18، ص90-91)

نموذج عن دعوى تعارض السنّة مع السنّة:

استشكل عدنان الرفاعي ما رُوى في النهي عن التنفس في الإناء حول حديث النّبي صلى الله عليه وسلم «**إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يتنفَّسْ فِي الإِنَاءِ** »**(**، والحديث الآخر: « **أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم كان يتنفس ثلاثا**» **(البخاري، 1311هـ، ج7، ص112)**، وأكّد وجود التعارض بينهما (عدنان الرفاعي، 2011م، ص554-555)، لكنّ المتمعّن في الحديثين يجدُ أنّه لا يوجد تعارض حقيقيّ، وقد عمد أهل العلم في الجمع بين الحديثين وبيان معنى لفظ: «**كان يتنفس في الإناء**» أي في شربه صلى الله عليه وسلم من الإناء، فالتّنفس لا يكون داخل الإناء، وإنّما يفصل بين الشرب بالتنفس، فالحديث لا يعارض النهى عن التنفس في الإناء. (ابن الجوزي، 1985م، ج2، ص425)

هناك كثير من المسائل ادّعى فيها الحداثيّون معارضة السنّة النّبويّة لغيرها من أصول الدين وقواعد الشريعة بغرض إيراد الشّبه حول السنّة النّبويّة والتشكيك فيها، إلا أنه انبرى لها ودفع استشكالاتها العلماء الأفذاذ، ومنهم من أفرد التصانيف والكتب في ذلك. (ينظر: اختلاف الحديث للشافعي، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، شرح مشكل الآثار للطحاوي ومشكل الحديث وغريبه لابن فورك، كشف المشكل لابن الجوزي، وغيرها كثير)

3.4 شبهة أنّ في السنّة شرع مبتدأ زائد على هذا القرآن.

عرض الشبهة:

المقرر عند علماء الإسلام أنّ السنّة مصدر ثان من مصادر التشريع، مع التسليم بأنّها حجّة، وأنّ إعمالها واجب، وهناك أحكام بينتها السنّة النّبويّة ولم تُذكر في القرآن، إلا أنّ من يجهل حقيقة السنّة يستدل بذلك على ترك الأحاديث النّبويّة وعدم الأخذ بها، كالحديث الذي ورد فيه النهي عن الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها

(البخاري، 1311هـ، ج7، ص12)؛ يستدل به رواد الفكر الحداثي على أنّ السنّة جاءت بشرعٍ آخر غير الذي في القرآن.

ردّ الشبهة:

تقدم ذكرُ منزلة السنّة النّبويّة من الإسلام وبيان مكانتها من الشريعة وأنّها أصلٌ ثان من أصول الإسلام، وأنّها حجّة مستقلة قائمة بنفسها، يجب الأخذ بها والرجوع إليها، وأنّه يجب الأخذ بالحديث الصحيح إذا ثبت مطلقا، والحقيقة أنّ إيرادهم لهذه الشبهة بعينها يعتبر ردّا على منهجهم الإقصائي للسنّة النّبويّة ودليلٌ على أن نقدهم ليس علميا، وأنّ استدلالهم هنا في غير محله ؛ والسبب أنّ بعض شراح الحديث بينوا أنّ هذا إكمال للحكم في نص القرآن وبيان للتعليل الذي بني عليه تحريم من حرم نكاحه ، وقد فهمه النّبي صلى الله عليه وسلم وعلل به أنه لحفظ الرحم، وبهذا لم يكن الحديث زائدا عن الحكم الذي في القرآن، إنّما هو استنباط من ذلك، فجاء التحريم في الجمع بينهما دون التحريم في أصل الزواج، فله أن يطلِّق المرأة ويتزوج عمتها أو يطلِّق المرأة ويتزوج خالتها، وكذلك فإنّ هذه العلّة موجودة في تحريم الجمع بين الأختين؛ لأن الضرّة من شأنّها أن يقع بينها وبين ضرتها الخصومة، فحُرِّم الجمع بينهما مخافة المضارّة التي هي من شأن البشر، وخاصة النساء، فحُرِّم الجمع دون أن يحرم تزوج الأخت بعد وفاة أختها، أو بعد طلاق أختها. (عبد الرزاق عفيفي، 1425هـ، ص51)

5. خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله أولا وآخرا على تيسيره في إتمام هذا البحث، وقد خَلُصَ البحث إلى النتائج التالية:

- ضرورة العناية بدراسة القرآن الكريم والسنّة النّبويّة، وضرورة العناية بهما في عصرنا الحاضر خاصةً، الذي كثرت فيه القراءات حول الوحيين، وتناول هذه الدراسات بالتحليل والنّقد العلمي.

- تبيّن من خلال البحث أنّ القراءة الحداثية من أوسع القراءات المعاصرة التي تناولت القرآن الكريم، وأنّ لها منهجا خاصّا في قراءتها.

- اتضح من خلال البحث أنّ القراءة الحداثيّة تناولت السنّة النّبويّة عموما بالقدح في وحييّتها مما استلزم القدح في حجيتها.

- تبين أنّ الحداثيّون يرَون أنّه لابد من التحرر من السنّة النّبويّة، وأنّها ليست حجّة، ولا يصلح إعمالها في بيان القرآن الكريم.

- تبين من خلال البحث المكانة المهمّة للسنّة النّبويّة وضرورة إعمالها في قراءة القرآن الكريم.

- تعدد مظاهر إعمال السنّة في قراءة القرآن الكريم من تفصيل مجمله، وتخصيص عامّه، وتقييد مطلقه، وصياغة قواعدَ عامّة منه، وكذلك بيان لناسخ القرآن ومنسوخه.

- طريقة القراءة الحداثية في قراءة القرآن الكريم غير سليمة وهي مخالفة تماما لقواعد الشريعة وأصول علم التفسير.

- ضرورة ضبط القراءات المعاصرة للقرآن الكريم بقواعد السلف في التفسير والفهم .

- تبّين أنّ طريقة القراءة الحداثية في تناول القرآن الكريم ليست علمية، وإنّما قائمة على خلفيةِ ردِّ كل ما هو موروث، وبالتالي ردّ القرآن والسنّة.

- طعن الحداثيّين في وحييّة السنّة النّبويّة وفي حجيتها وعدم إعمالها في قراءة القرآن، إنّما هو تمهيدٌ لهدم القرآن الكريم تحت مجهر القراءة المعاصرة للقرآن.

- تجويز بعضهم إعمال السنّة النّبويّة في قراءة القرآن الكريم ليس على سبيل تعظيم السنّة وإنّما كون السنّة النّبويّة نص من النصوص الإنسانية التي تناولت القرآن الكريم.

التوصيات:

- ضرورة الاهتمام بنقد الدراسات المعاصرة حول القرآن الكريم، وخاصة التي تتناول مكانة السنّة النّبويّة وعلاقتها بالقرآن الكريم، والبحث في مناهج هذه القراءات والكشف عن قواعدها، ودراستها دراسة نقدية مقنعة.

- تبين من خلال البحث مدى أهمية ضبط القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، وأنّ لها صدى واسع، إذ كثرت أقلام روادها في ذلك، من أجل هذا لابد أن ينبري الباحثون بكل ما أوتوا من وسائل للبحث، وأن يتتبعوا هذه الدراسات ويردّوا الشبه المثارة حول القرآن الكريم وكلّ ما يدور حوله .

- أن يقوم الباحثون وطلبة العلم باستكمال النقائص فيما يتعلق بالقراءة الحداثية للقرآن الكريم.

5. قائمة المصادروالمراجع:

1. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن، (1985م) غريب الحديث، (ط1): بيروت- لبنان دار الكتب العلمية .
2. ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد، (1991م)، إعلام الموقعين عن رب العالمين،(ط1): بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية .
3. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (1414ه)، لسان العرب،(ط3): بيروت، دار صادر.
4. منصور، أحمد صبحي، (2005م)، القرآن وكفى: بيروت، مؤسسة الانتشار العربي.
5. اسبنوزا، باروخ، (2005م)، رساله في اللاهوت والسياسة،(ط1): بيروت، دار التنوير.
6. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (1994م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: بيروت، المكتبة العلمية.

7. البخاري، أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل، (1311هـ): صحيح البخاري، (ط1): الهند، الطبعة السلطانية الأولى.
8. جبران، مسعود، (1992م)، معجم الرائد، (ط7): بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.
9. البنّا، جمال، (1997م)، السنّة ودورها في الفقه الجديد: القاهرة، طبعة دار الفكر الإسلامي.
10. الخضور، جمال الدين،(1997م)، مأساة العقل العربي: دمشق، دار الحصاد.
11. فخري عيسى، الحارث،(2013م)، الحداثة وموقفها من السنّة النّبويّة، (ط1): القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
12. حنفي، حسن، الدين والثورة: القاهر، مكتبة مدبولي.
13. شحرور، محمد،(1990)، الكتاب والقرآن: دمشق، سوريا، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.
14. السعدي، عبد الرحمن، (2000م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،(ط1): لبنان، مؤسسة الرسالة.
15. عفيفي، عبد الرزاق، (1425ه)، شبهات حول السنّة، (ط1): المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
16. المطعني، عبد العظيم، (1999م)، الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض ، (ط1): القاهرة، مكتبة وهبة.
17. الشرفي، عبد المجيد، (1994م)، لبنات: تونس، دار الجنوب للنشر.
18. الرفاعي، عدنان،(2011م)، محطات في سبيل الحكمة: دار الخير للطباعة والنشر و التوزيع.

19. الريسوني، قطب،(2010م)، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر، (ط1): المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
20. أركون، محمد،(2001م)، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، (ط1): بيروت، دار الطليعة.
21. ابن حجر القرني، محّمد، (1434ه)، موقف الفكر الحّداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام، (ط1): مجلة البيان.
22. حمزة، محمد، (2007م)، إسلام المجددين، (ط1): بيروت، دار الطليعة.
23. شحرور، محمد، (2000م)، نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي، (ط1): طبعة دار الساقي
24. الجابريّ: محّمد عابد، (2009م)، بنية العقل العربي: بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
25. الجابريّ، محّمد عابد، قولٌ في الحديث عموما، الموقع الرسمي، تاريخ الدخول:2024/03/03، الرابط https://www.aljabriabed.net/hadth1.htm
26. الجابري، محمد عابد، (1993م)، نحن والتراث، (ط6): بيروت، المركز الثقافي العربي.
27. الخطيب، محمد عبد الفتاح، (2009م)، القراءة الحداثية للسنة النّبويّة وضرورة تأسيس أجرومية لفقه البالغ النبوي، ورقة مقدمة في ندوة علمية دولية بعنوان: السنّة النّبويّة بين ضوابط الفهم السديد ومتطلبات التجديد، (ط1): الإمارات العربية المتحدة،دبي.
28. كالو، محمد محمود، القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، في ضوء ضوابط التفسير، أطروحة أعدت لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، من جامعة الجنان-لبنان-، لم تطبع بعد، رابط التحميل:

https://ketabonline.com/ar/books/15956/read?part=1&page=1&index=38

55635

29. ابن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين، (1955م)، صحيح مسلمك القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
30. السباعي، مصطفى، (1982م)، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي،(ط3): بيروت- لبنان، المكتب الإسلامي بدمشق.
31. نصر، حامد أبو زيد، (1996م)، الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية،(ط2): القاهرة، مصر، مكتبة مدبولي.
32. أبو زيد، نصر حامد، (1392ه)، نقد الخطاب الديني،(ط1): القاهرة، مكتبة مدبولي.
33. النووي، شرف الدين، (1392ه)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (ط2): بيروت، دار إحياء التراث العربي.